الفصل الأول

علم الأصوات كمدخل لعلاج صعوبات الكلام

obeikandl.com

يشير جمعه يوسف (١٩٩٠) إلى أن اكتساب اللغة لدى الطفل يبدأ بالأصوات، ثم تبدأ هذه الأصوات في التمايز لتصبح كلمات لها معني ، ثم تركب هذه الكلمات لتصبح جملاً نحوية ذات معني. (جمعه يوسف، ١٩٩٠، ١٠٣)

فعادة ما يتعرف الطفل على الكلمات قبل أن يقتدر على نطقها ، ويبدأ الطفل عادة بالكلمات التي تكرر مقطعا صوتيًا واحدًا وفونيمات صوتية متشابهة من قبيل (دا) و(با) و(ما) فيكون أول الأصوات التي ينطقها الطفل هي(بابا) ، (ماما)، (دادا) كما يتعرف على الكلمات من الأصوات قبل أن يقتدر على نطقها مثل صوت الكلب (هوهو..) للدلالة على الكلب ، أو صوت السيارة (بيب بيب..) للدلالة على السيارة مثلا.....إلخ.

ويُعدُّ الفونيم أصغر وحدة صوتية قادرة على تغيير المعني ولا تحمل معني في حد ذاتها ، وأمثلة الفونيمات كالتالي (س / م / و/ د /ج) و إذا تغير وضع الفونيمات في الكلمة فإن معني الكلمة يتغير ، ويمكن التعرف على الفونيمات عن طريق الكلمات المتشابهة صوتيا في كل أجزائها ما عدا جزءاً واحداً مثل (دار– سار– جار– حار) ومن الملاحظ تغير المعني في كل من هذه الكلمات بسبب تغير في فونيم واحد وهو الفونيم المشار أسفله .

أما عن الوحدات الصوتية في اللغة العربية (الفونيمات) فهي ست وعشرون وحدة صوتية صامتة(ساكنة) consonant وهى كالتالي :

همزة، ب ت ث، ج ح خ، د ذ ر ز، س ش، ص ض، ط ظ، ، ع غ، ف ق، ك ل م ن هـ .

وثمة ست وحدات صوتية متحركة vowels هي حروف المد الثلاث (أ، و، ى) ويمكن الإشارة كمثال للصوت المتحرك (أ) في كلمة (قال) ، والإشارة للصوت المتحرك (و) في كلمة (صوف) ، كما يمكن الإشارة للصوت المتحرك

(ي) في كلمة (عيد) ، وهناك ثلاث حركات قصيرة هي(الفتحة ، الضمة ، والكسرة) ولا فرق بين الأصوات المتحركة الطويلة والقصيرة (فالفتحة) صوت متحرك قصير و(الألف) هي نظيرها الطويل، و (الضمه) صوت متحرك قصير و (الواو) نظيرها الطويل، و(الكسرة) صوت متحرك قصير و(الياء) نظيرها الطويل، وهناك وحدتان صوتيتان وسط بين الحركة والسكون هما الواو مثال (ولد) ، والياء مثال (يلد).

مما سبق يتبين أن مجموعة الوحدات الصوتية (الفونيمات)هي (٣٤) أربع وثلاثون وحدة فونيم تنقسم إلى :-

أصوات صامتة consonants :

هي أصوات يحدث أثناء النطق بها أن يعترض الهواء الخارج من القصبة الهوائية ابتداء من الحنجرة وحتى الشفتين عائق سواء أكان الاعتراض تاماً كما في حالة الهمز والباء أو كان الأعتراض جزئياً كما في الياء والشين.

(سعد مصلوح، ٢٠٠٠ ، ١٦٣)

أصوات متحركة vowels :

هي أصوات يحدث أثناء النطق بها أن يخرج الهواء حراً طليقاً لا يعوقه عائق من أي نوع.

طول الفونيم : هو الزمن الذي يستغرقه النطق بهذا الفونيم سواء كان فونيمًا متحركاً، أو فونيمًا ساكنًا، حيث يختلف الفونيم تبعًا لطبيعة بنائه فسيولوجيا أثناء النطق، وتركيبه ميكانيكاً أثناء الكلام فكل فونيم له زمن محدد و مميز خاص به.

ويقاس زمن الفونيم بواسطة جهاز الاستسيلوجراف وحدة القياس هي (١/١٠٠ من الثانية) ومثالاً على ذلك فإن فونيم (التاء) يستغرق في النطق حوالي ٠.٠٩ جزء من الثانية في حين أن مجهوره وهو فونيم (الدال) يستغرق في النطق حوالي ٠.٠٥ جزء

من الثانية أما فونيم (آلف المد القصير) فيستغرق في النطق ٠,٤٢ جزء من الثانية. (وفاء البيه، ١٩٩٤، ١٣).

وفي نفس السياق أشارت دراسة لوجن (Logan 2003) إلى أن زمن الفونيم من أهم الظواهر الصوتية اللغوية التي يترتب عليها النطق الصحيح ، حيث أن الإسراع أو الإبطاء بنطق أي فونيم عن الزمن المحدد الخاص به يؤثر على عملية النطق الصحيح ويؤدى به إلى الاضطراب.(Logan , 2003 ,17)

وأكدت نتائج دراسة زاكيم و كونتير (Zackeim & Conture 2003) على أنه ليس من الضروري أن يعرف الإنسان مقدار الزمن المحدد الذي يستغرقه كل فونيم لكي يصحح نطقه بل إن المران السمعي يكفي عادة في ضبط هذا الزمن. (Zackeim & Conture ، ٢٠٠٣، ١١٥)...

وفى دراسة هناء عبد الفتاح (٢٠٠٠) وجدت أن طول الفونيم يتوقف على طبيعته الخاصة فالفونيمات المتحركة بطبيعتها أطول من الفونيمات الساكنة، كما تختلف أيضا الفونيمات المتحركة من حيث أطوالها (فالفتحة) أطول من (الكسرة) و(الضمة)، ثم يلي الفونيمات المتحركة في الطول الفونيمات الأنفيه وهى (النون) و(الميم) فهما أطول الفونيمات الساكنة ، ثم الفونيمات الجانبية كفونيم (اللام) ثم الفونيمات المكررة أو الاهتزازية كفونيم (الراء) ثم الفونيمات الاحتكاكية مثل فونيم (الفاء) و (الشين) و (الخاء)، وأقل الفونيمات الساكنة طولاً هي الفونيمات الانفجارية مثل فونيم (الباء) و(التاء) و(الدال) و(الكاف) و(القاف) .(هناء عبد الفتاح، ٢٠٠٠، ٣٦)

العوامل التي تؤثر على طول الفونيم :

إن لغة الطفل لا تظهر من فراغ ، ولكنها تتضح و تظهر في ضوء العديد من العوامل التي تؤثرعلى اكتساب الطفل للخصائص التي تؤثر في طول الفونيم وهذه العوامل هي :-

١- الضغط : stress وهو أن يقوم المتحدث أثناء الكلام بالضغط على مقطع معين لإفادة الأهمية والتأكيد أو التنبية على معني محدد .

مثال « مشينا مشوار طويل »

٢- التنغيم intonation: هو التنويعات الموسيقية أو التلوينات الصوتية التي تصاحب الكلام.

٣ - التوقف pause : وهو عبارة عن قطع بين أجزاء الكلام المتصل يهدف إلى التوجيه أو التنبيه. ... ... (محمد يوسف، ١٩٩٦، ٨٨)

المقطع الصوتي syllable :

يتكون المقطع الصوتي من فونيمين على الأقل حيث يتم تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية والمقطع هو أصغر وحدة صوتية إيقاعية للغة ناتجة عن دفعة هواء زفيرية (النبضة الرئوية) والنبضة الزفيرية هي حركة تنفسية واحدة As A Single Respiratory Movement، فتحدث انقباضة واحدة للعضلات الواقعة بين الضلوع أثناء خروج الهواء من الرئتين وهذا يعني أن المقطع هو أقل منطوق تحدث فيه نبضة صدرية واحدة.

(herman, et ai,1995, 108)

فالمقطع هو بنية فونولوجية تتكون من تتابع الفونيمات.

(هناء عبد الفتاح ، ٢٠٠٠ ، ١٢).

الارتكاز:

هو درجة قوة النفس breathing التي ينطق بها الفونيم أو المقطع الصوتي ، وليس كل فونيم أو مقطع صوتي ينطق بنفس الدرجة ، كما أن الفونيم أو المقطع الذي ينطق بارتكاز أكبر يتطلب جهداً وطاقة ونشاطاً لجميع أعضاء النطق والصوت وجهاز التنفس في وقت واحد ، حيث تنشط أعضاء النطق والرئتين والحجاب الحاجز نشاطاً كبيراً مما يؤدى إلى زيادة قوة النفس كما تقوى حركات الثنايا الصوتية vocal folds ويقتربان أحدهما من الأخر ليسمحاً

بتسرب أقل مقدار من الهواء فتزيد بذلك سعة الذبذبات ويترتب على ذلك أن يصبح صوت الفونيم أو المقطع عالياً واضحاً .(وفاء البيه، ١٥٤، ١٩٩٤)

ويوضح الباحث الارتكاز في المثال التالي.

- الكلمات التي على وزن فاعل مثل (عامل – شاهد – فاهم) يكون الارتكاز قوى على المقطع الأول مثل (عامل) .

- الكلمات التي على وزن مستفعل يقع الارتكاز على مقطع (تف) مثل مستعمل.

- الكلمات التي على وزن مفعول يقع الارتكاز على المقطع (عول) مثل (محجوب)، (مجنون)، (مشهور) .

عملية إنتاج الأصوات :

إن الهواء الخارج من الرئتين ، إما أن يصادف مجراه مسدودًا سدًا تامًا عند أية نقطة فى الجهاز النطقى (ما بين الحنجرة والشفتين) ، وإما أن يصادف في طريقه تضييقًا فى المجرى ، لا سدًا فيه ؛ بحيث يسمح هذا التضييق للهواء بالمرور ، ولكن هذا الهواء يحتك بنقطة التضييق هذه ؛ أى إن الكلام يحدث عادة عند عملية الزفير ، وذلك بأن تعترض الأعضاء الصوتية ممر الهواء وتقتضي عملية الكلام إطالة الزمن الذى تتم فيه عملية الزفير ، بالنسبة لعملية الشهيق ، حتى تصبح الفترة التى يستغرقها الزفير من ثلاثة إلى عشرة أمثال فترة الشهيق ، هذا فى الكلام العادى ، أما عندما يسترسل المتكلم فى حديث سريع طويل ، فقد يصبح طول فترة الزفير ثلاثين مثلا لطول فترة الشهيق ، وكلنا يعرف - على سبيل المثال- كيف تكون النسبة بينهما عندما يحاول أحد المقرئين قراءة سورة قصيرة فى نفس واحد ، ومع هذا فإنَّ عملية الزفير التى يتم خلالها النطق ليست مجرد إخراج الهواء على نحو مناسب ، ولكن الهواء فى الواقع يخرج فى دفعات ، كل دفعة منها مع إنتاج صوتي كامل ، ويمكن تشبيه الرئتين عند الزفير ، فى أثناء الكلام بالبالونة التى تنتهى بزمارة ينطلق الهواء منها بحكم

ضغط جسمها المطاط ، فإذا ما فرض أن جعل الطفل الذى يلعب بها يضغط على جدارها ضغطات متوالية ، لخروج الهواء منها على دفعات ، لاتوقف بين إحداها ،والأخرى ، لسمعنا للزمارة صوتًا شبيهًا بالصوت المتقطع ، بالرغم من عدم توقفه ، وهذه العملية شبيهة كلَّ الشبه بإنتاج المقاطع فى أثناء الكلام ، لكل مقطع دفعة هوائية تنتج من انقباضات متوالية يقوم بها الحجاب الحاجز ، فيؤثر الضغط على الهواء الخارج من الرئتين دون أن يتوقف خروجه ، وعلى هذا يمكن تبعًا لذلك أن يحدث من أي جزء من أجزاء الجهاز الصوتى من الناحية النظرية صوت ما ؛ وذلك إما بسد هذا الجزء سدًا محكمًا حتى لا يتسرب الهواء إلى الخارج ، ثم نزيل هذا السد بسرعة فينطلق الهواء بانفجار ، وعندئذ نسمع صوتًا معينًا ، وإما أن يضيق الجهاز النطقى فى إحدى نقطه ضيقًا يسمح بمرور الهواء مع الاحتكاك بهذا الجزء المضيق .

وبهذا يمكن أن يخرج من كل جزء من أجزاء هذا الجهاز عدد لا حصر له من الأصوات بمساعدة حركة أجزائه المتحركة ، غير أن الشعوب البشرية قد اختلفت فيما بينهما فى استخدام إمكانات الجهاز النطقى استخداما كاملا ، وهذا هو السبب فى أن اللغات الإنسانية تتفق فيما بينها فى بعض الأصوات ، وتختلف فى بعضها الآخر ، وذلك تبعًا لاختلافها فى استخدام إمكانات الجهاز النطقى المتعددة ، فالشعوب الهندية والأوربية مثلا ، لم تستخدم كل إمكانات النطق فى إخراج الأصوات من الحلق ؛ ولذلك تخلو بعض لغاتهم من صوتي الخاء والعين ، ذلك بعكس اللغة العربية ومعظم اللغات السامية مثلا ، وقد استخدمت العربية الفصحى عشرة مخارج فى الجهاز النطقى ، هي بالترتيب :

١ - **الشفة** : ويسمى الصوت الخارج منها شفويًا

٢- **الشفة مع الأسنان** : ويسمى الصوت الخارج منها شفويًا أسنانيًا .

٣- **الأسنان** : ويسمى الصوت الخارج منها أسنانيًا .

٤- **الأسنان مع اللثة** : ويسمى الصوت الخارج منهما أسنانيا لثويًا .

٤- **اللثة** : ويسمى الصوت الخارج منها لثويًا .

٥- **الغار** : ويسمى الصوت الخارج منع غاريًا .

٦- **الطبق** : ويسمى الصوت الخارج منه طبقيًا .

٧ - **اللهاة** : ويسمى الصوت الخارج منها لهويًا .

٨- **الحلق** : ويسمى الصوت الخارج منه حلقيًا.

٩- **الحنجرة** : ويسمى الصوت الخارج منها حنجريًا .

تلك هى مخارج الأصوات فى العربية الفصحى ، كما تدل عليها تجارب معامل الأصوات فى وقتنا الحاضر ، واللسان عامل مشترك فى أكثر هذه المخارج؛ إذ يخرج طرفه بين الأسنان ، أو يوضعه عند الاسنان واللثة ، أو عند اللثة وحدها ، أو عند الغار ، أو ترتفع مؤخرته عند الطبق ، أو اللهاة ، فليكن ذلك مفهومًا لدينا ، وإن لم ننسب مخرجًا من المخارج إليه .

وثمة خلاف بيننا وبين قدامى اللغويين من العرب فى عدد مخارج الأصوات العربية ، وفى تحديد مخارج بعض الاصوات فعندنا الآن أن:

١- الأصوات الشفهية هى : ب م و .

٢- والشفوية الأسنانية هى : ف .

٣- والأسنانية هى : ذ ظ ث .

٤- والأسنانية اللثوية هى : د ض ت ط ز س ص .

٥- واللثوية هى : ل ر ن .

٦- والغارية هى : ش ج ى .

٧- والطبقية هى :ك غ خ .

٨- واللهوية هى : ق .

٩- والحلقية هى : ع ح .

١٠- والحنجرية هى : الهمزة والهاء ، هذا هو رأى المحدثين من علماء الأصوات فى مخارج أصوات العربية الفصحى ، مؤسسًا على نتائج التجارب الصوتية ، فى المعامل وغيرها (انظر شكل ٤).

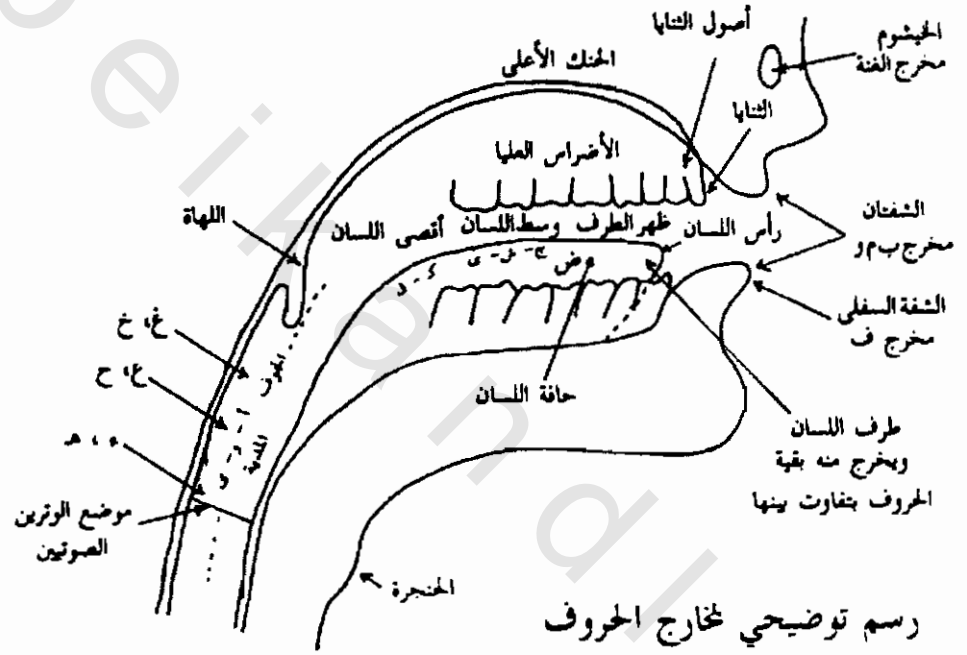

(شكل ٤)

فأما الخليل بن أحمد فجعل المخارج ثمانية يختلف موقع الأصوات العربية فى بعضها عمَّا عندنا الآن ، كما أنه لم ينسب الياء والواو والألف والهمزة إلى مخرج معين وسماها هوائية فقال : " فالعين والحاء والهاء والخاء والعين حلقية ؛ لأن مبدأها من الحلق ، والقاف والكاف لهويتان ؛ لأن مبدأها من اللهاة ، والجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم ، أى مفرج الفم ، والصاد والسين والزاي أسليه ؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان ، وهى مستدق طرف اللسان ، والطاء والتاء والدال نطعية ؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى . والظاء والذال

والثاء لثوية ؛ لأن مبدأها من اللثة ، والراء واللام والنون ذلقية ؛ لأن مبدأها من ذلق اللسان ، وهو تحديد طرفيه كذلق الأسنان . والفاء والباء والميم شفوية , وقال مرة : شفهية ، لأن مبدأها من الشفة . والياء والواو والهمزة هوائية في حيز واحد ، لأنها هاوية في الهواء ، لايتعلق بها شيء .

وأما سيبويه ، فإنه يعد المخارج ستة عشر مخرجًا ، يقول: « ولحروف العربية ستة عشر مخرجًا ، فللحلق منها ثلاثة :

(١) فأقصاها مخرجًا الهمزة والهاء والألف (يقصد بذلك ألف المد) .

(٢) ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء .

(٣) وأدناها مخرجًا من الفم والغين والخاء .

(٤) ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف .

(٥) ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف .

(٦) ومن وسط اللسان ، بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء .

(٧) ومن أول حافة اللسان ، وما يليه من الأضراس مخرج الضاد .

(٨) ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام .

(٩) ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون .

(١٠) ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا ، لانحرافه إلى اللام ، مخرج الراء .

(١١) ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء .

(١٢) ومما بين طرف اللسان ، وفويق الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد.

(١٣) ومما بين طرف اللسان ، وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.

(١٤) ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .

(١٥) ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو .

(١٦) ومن الخياشيم مخرج النون الخفية .

ويعلق المستشرق « شاده» schaade ، على تقسيم سيبويه للمخارج ووصفها بقوله :"نشاهد غاية التفصيل مثلا في تقسيمه للأسنان ، وقد قسَّمها إلى الثنايا والرباعيات والأنياب والأضراس . ويخالف هذا التدقيق معاملته للحلق ، فإن سيبويه وإن قسمه إلى أقصى الحلق , وأواسط الحلق ، وأدنى الحلق ، لم يكن يعرف الحنجرة ، ولا أجزاءها ، كالمزمار والأوتار الصوتية . وسبب هذا الاختلاف واضح ، فإن الأسنان مكشوفة للرؤية ، وأما الحنجرة وأجزاؤها وعملها ، فتقضى ملاحظتها إلى التشريح ، وما أظن سيبويه يجترئ عليه، أو الآلات الفنية ، كمنظار الحنجرة ، أو الأشعة المجهولة ، ولم تكن مثل هذه الآلات بين يديه ، وكفى بذلك عذرًا يعتذر به سيبويه ، لعدم معرفته بالحنجرة وعملها . وإن ثبت أن الخلل المذكور في مدارك سيبويه منعه من أن يفهم بعض المسائل الصوتية حق الفهم. وبعد أن عرفنا شيئًا عن المخارج في العربية الفصحى ، نعود إلى موضوعنا الأول ، وهو كيفية حدوث الصوت مرة أخرى .

لقد قلنا إنه في الإمكان أن يعوق تيار الهواء الخارج من الرئتين ، عائق يمنع من المرور ، عند أى مخرج من هذه المخارج ، ثم يزول هذا العائق بسرعة ، وبهذا يندفع الهواء الخارج بانفجار شديد . وإما أن يضيق المجرى عند اى مخرج من هذه المخارج ، ضيقًا يسمح للهواء بالمرور مع الاحتكاك بمكان الضيق .

ويُسَمَّى الصوت الخارج في الحالة الأولى (حالة وجود عائق) صوتًا شديدًا أو انفجاريًا ، وفى الحالة الثانية (حالة تضييق نقطة فى المجرى) يُسَمَّى الصوت الخارج صوتًا رخوًا أو احتكاكيًا .

ويجعل "فندريس" لإنتاج الصوت الانفجاري ثلاث مراحل ، فيقول: « ففي كل صامت انفجاري إذن ثلاث خطوات متميزة : الإغلاق أو الحبس ، والإمساك الذي قد يكون طويل المدى أو قصيره ، والفتح أو الانفجار . وعند إصدار صامت

بسيط مثل التاء ، فإنَّ الانفجار يتبع الحبس مباشرة ، والإمساك يضؤل إلى مدى لا يكاد يُحَس ، وعلى العكس من ذلك ، تظهر الخطوات الثالث بوضوح ، فيما يسمى بالصوامت المضعفة ، وهى ليست إلا صوامت طويلة».

وإذا كان الشرط فى إنتاج الأصوات الشديدة الانفجارية هو سرعة زوال العائق ؛ فإننا نجد بين الأصوات العربية صوتًا لايزول فيه العائق بسرعة ، بل إن العضوين المتصلين لا ينفصلان انفصالا سريعًا ، وإنما انفصالهما انفصال بطيء ، وفى الانفصال البطيء مرحلة بين الانسداد المطلق والانفتاح المطلق شبيهة إلى حدٍّ ما بالتضييق الذي عرفنا أنه من مميزات الأصوات الرخوة الاحتكاكية .

وهذه المرحلة تسمح للهواء أن يحتك بالعضوين المتباعدين ببطء احتكاكًا شبيها بما يصاحب الأصوات الرخوة ؛ ولذا فإنَّ هذا الصوت يجمع بين الشدة والرخاوة ؛ بمعنى أنه يبدأ شديدًا انفجاريا ، وينتهى رخوًا احتكاكيا ؛ ولهذا نسميه بالصوت المزدوج ، كما يسميه الآخرون بالصوت المزجي ، أو الصوت المركب . وهو فى اللغة العربية صوت الجيم فى الفصحى . وفى اللغات الاخرى نظائر لهذا الصوت ، مثال ذلك فى الإنجليزية :

(ch تش) ، وفى الألمانية (z تس) ، وكذلك (pf بف) ويسمى الصوت المزدوج عندهم باللاتينية affricata، وبالفرنسية affriquee ، والإنجليزية affricate

ويجعل فندريس هذا النوع من الأصوات متوسطًا بين الانفجارى والاحتكاك ، فيقول : « وتوجد سلسة من الأصوات المتوسطة بين الانفجارية والاحتكاكية , وهى ما تسمى شبه الانفجارية ، أو بعبارة اوضح : الانفجارية الاحتكاكية ، وتتميز بالإغلاق الذى لايستمر إحكامه ، وفيها كما فى الانفجارية حبس ، ولكن هذا الحبس تتبعه حركة خفيفة من الفتح ، بحال يجعل الانفجاري ينتهى بالاحتكاكي ، فالانفجاري الاحتكاكي هو انفجاري فاشل ، كما يقول

ماريو باى : «أما الأصوات المركبة affricates فهي أصوات لا تنتج عن طريق تغير المخرج ، وإنما تعديل طريقة النطق ؛ فإذا حدث أن كان الانغلاق المتلو بانطلاق ، الموجود فى نطق : الـ (t) متبوعًا بالصوت الاستمراري الاحتكاكي ، فإن النتيجة ستكون ch الموجودة فى : church ، ويحدث الشيء نفسه مع الـ (d)إذا اتبعت بالصوت الاحتكاكى المجهور (s) فى measure ، حيث يكون الناتج صوت الـ (j) الموجود فى . jet .

هذا ، ومن الممكن كذلك أن يمر الهواء بمجراه دون احتكاك أو انحباس من أى نوع ، إما لأنَّ مجراه فى الفم يتجنب المرور بنقطة السد أو التضييق ، كما فى صوت «اللام » ، أو لأن هذا التضييق غير ذى استقرار كما فى صوت (الراء) ، أو لأن الهواء لايمر بالفم , وإنما يمر بالأنف ، كما فى صوتي "الميم" و"النون" . وهذا النوع من الأصوات ، نسميه بالأصوات المتوسطة ؛ لأنها ليست بالشديدة ولا بالرخوة . وهذه الأصوات الأربعة تسمى عند علماء الغرب بالأصوات المائعة أو السائلة. liquida وهكذا نرى أن تغير شكل المخرج عند حدوث الصوت ، ينتج لنا أربعة أنواع من الأصوات ، وهى :

١- شديد = انفجارى.

٢- رخو = احتكاكى.

٣- متوسط = مائع = سائل

٤- مزدوج= مزجى = مركب.

وهناك تقسيم آخر للأصوات، لا ينظر فيه أى شكل المخرج ، وإنما ينظر فيه إلى اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازها ، فالأصوات التى تهتز معها الأوتار الصوتية وتتذبذب ، يسميها علماء الاصوات بالاصوات المجهورة ، أما تلك التى لا تهتز معها الاوتار الصوتية ، فتسمى عندهم بالاصوات المهموسة .

ويذكر المحدثون من علماء الاصوات أنه لاختبار جهر الصوت ، يمكن أن تجرى إحدى التجارب الآتية :

١- حين تضع الإصبع فوق تفاحة آدم ، ثم تنطق بصوت من الأصوات وحده ، مستقلا عن غيره من الأصوات ، ولا يتأتى هذا إلا بأن نشكل الصوت موضع التجربة بذلك الرمز الذي يسمى السكون ، مثل (ب) ويجب الاحتراز من الإتيان قبله بألف وصل ، كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات ؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال ، الذى هو أساس التجربة الصحيحة ، فإذا نطقنا بالصوت وحده ، وكان من المجهورات ، نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين شعورًا لا يحتمل الشك .

٢- وكذلك حين نضع أصابعنا فى آذاننا ، ثم ننطق بالصوت المجهور ، وهو وحده مستقلا عن غيره ، نحس برنة الصوت فى رءوسنا وفى ذلك يقول فندريس :« إذا راعى الانسان أن يسد أذنيه عند النطق ، فإنه عندما يصل عند المجهورة ، يسمع الرنين الذى تنشره الذبذبات الحنجرية فى تجاويف الرأس ».

٣- والتجربة الثالثة ، أن يضع المرء كفه فوق جبهته فى أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار ، فيحس برنين الصوت ، وذلك الرنين هو أثر ذبذبة الوترين الصوتيين .

وهناك أخيرًا تقسيم ثالث للأصوات ، ينظر إلى ارتفاع مؤخرة اللسان ، أو انخفاضها عند نطق الصوت ؛ ففى الحالة الأولى يسمى الصوت « مفخمًا » أو« مطبقًا » ، نظرًا لارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق ، وهو الجزء الرخو من سقف الحنك , وفى الحالة الثانية يسمى الصوت « مرققا » أو «غير مطبق» .

والأصوات المفخمة فى اللغة العربية , هى : الصاد ، والضاد ،والطاء ، والظاء ، ولا غير ، فهذه الأصوات ، وإن كان مخرج الثلاثة الأولى منها ، من الأسنان واللثة ، وإن كان مخرج الرابع من بين الأسنان ، فإن مؤخرة اللسان تعمل معها كذلك .

والتفخيم أو الإطباق وصف لصوت لا ينطق فى الطبق , وإنما ينطق من مكان آخر ، وتصحبه ظاهرة عضلية فى مؤخرة اللسان ، وذلك على العكس مما سبق أن عرفناه فى المخارج من الأصوات «الطبقية »، وهي التي مخرجها من الطبق .

وإذا كان سيبويه يقسم الاصوات الى مجهورة ومهموسة ، فان تعريفه لها يثير كثيرًا من الشبه , التى لم تجد لها حلا معقولا حتى الآن ، يقول :

« فالمجهورة حرف اشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه ، إلا أن النون والميم ، قد يعتمد لهما فى الفم والخياشيم ، فتصير فيهما غنة . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما.

وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد فى موضعه ، حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت ، فرددت الحرف مع جري النفس ، ولو أردت ذلك فى المجهورة ، لم تقدر عليه .

وهكذا نجد أن تعريف سيبويه للمجهور والمهموس ، لا يقوم أساسًا على اهتزاز الأوتارالصوتية فى الحنجرة ، أو عدم اهتزازها ، وإنما يقوم على جري النفس أو عدم جريه ، وتلك الصفة من السمات الخاصة بشدة الصوت أو رخاوته .

وكان من الممكن القول إن سيبويه يقصد بالمجهور والمهموس ما نعنيه نحن بالشديد والرخو ، لولا أن سيبويه قسم الأصوات بعد ذلك إلى شديد ورخو ، وبيَّن المراد بهما عنده .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن تعريفه للشديد يقرب جدًا من تعريفه للمجهور ، كما يقرب تعريفه للرخو من تعريف للمهموس كذلك ، يقول سيبويه : " ومن الحروف الشديد وهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه ، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء ، وذلك أنك لو قلت : الحج ، ثم مددت صوتك لم يجز ذالك .

ومنها الرخوة وهى : الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاى والسين والظاء والثاء والذال والفاء ، وذلك إذا قلت : الطس وانقد ، وأشباه ذلك ، أجريت فيه الصوت إن شئت». فلا فرق بين المجهور والشديد فى كلام سيبويه "ويبدو أن بين التقسيمين السابقين تداخلا والتباسًا , وقد قالوا إن الفرق بينهما أن المجهور يمنع النفس ، والشديد يمنع الصوت ، ولكن هذا التفريق غير واضح وضوحًا تامًا ».

وليست التعريفات عند ابن جنى فى كتابه : «سر صناعة الاعراب» بأوضح منها عند سيبويه ، ومع ذلك فإن تعريف سيبويه لكل من الشديد والرخو ، يلفت نظرنا إلى شيء ، تنبَّه له علماء الغرب كذلك ، وهو أن الأصوات الشديدة أصوات وقتية آنية momentanlaute لايمكن التغني بها وترديدها ؛ لأنها تنتهى بمجرد زوال العائق وخروج الهواء . أما الأصوات الرخوة فإنها أصوات استمرارية متمادة dauerlaute يمكن التغني بها ،واستمرار نطقها دون انقطاع ما دام فى الرئتين هواء .

الأصوات الصامتة والمتحركة :

تنقسم الأصوات الكلامية عمومًا إلى قسمين كبيرين هما :

الأصوات الصامتة ، وهو ما يطلق عليها بالإنجليزية (consonants) والأصوات المتحركة (vowels) وتعرف الاخيرة بأنها الأصوات المجهورة التى يحدث فى تكوينها أن يندفع الهواء فى مجرى مستمر خلال الحلق والفم ، وخلال الأنف معهم أحيانًا ، دون أن يكون هناك عائق ، يعترض مجرى الهواء اعتراضًا تامًّا ، أو تضييق لمجرى الهواء ، من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا.

والأصوات المتحركة فى العربية الفصحى ، ما سماه نحاة العرب بالحركات ، وهى الفتحة والضمة والكسرة ، وكذلك حروف المد واللين ، كالألف فى " قال" ،والواو فى "يدعو " والياء فى " القاضي».

وما لم يصدق عليه تعريف الأصوات المتحركة ، هو الأصوات الصامتة التى نتناولها الآن بالوصف التفصيلي لمخارجها وصفاتها وبيان الخلاف بين القدماء والمحدثين فى تحديدها وسوف نتناولها فى كلامنا ، حسب ترتيبها فى المخارج :

١- **الأصوات الشفوية :** وهى فى العربية : الباء ، والميم ، والواو (فى مثل : ولد). **فأما الباء** فهى صوت شديد مجهور مرقق , يتم نطقه بضم الشفتين ، ورفع الطبق ، ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفى ، مع ذبذبة الأوتار الصوتية ، فإذا بقيت كل الأوضاع المذكورة كما هى ، فيما عدا الأوتار الصوتية التى لا نجعلها تهتز ، ينتج عندنا صوت آخر مهموس ، لا وجود له فى اللغة العربية ، ولكنه يوجد فى اللغات الأوربية ، وبعض اللغات السامية ، وهو صوت (p) فهو النظير المهموس للباء العربية . **وأما الميم** فإنه صوت أنفى مجهور ، ينطق بأن تنطبق الشفتان تمامًا فيحبس خلفهم الهواء ويخفض الطبق ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف مع حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية وبقاء اللسان فى وضع محايد ، **وأما الواو** فإننا نعني به هنا ضمن الأصوات الصامتة ، **الواو** فى مثل :"واحد " أو " ولد " ونحو ذلك . وهو صوت مجهور بينه وبين صوت الضمة الخالص (وهو من الأصوات المتحركة) فرق بسيط جدًا ، وسنعرف ذلك عند حديثنا على أصوات العلة.

٢- **الأصوات الشفوية الأسنانية** :وليس منها فى اللغة العربية ، **إلا صوت الفاء .** وهو صوت رخو مهموس مرقق ينطق بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا ، اتصالا يسمح للهواء أن يمر بينهما فيحتك بهما ، مع رفع مؤخرة الطبق ولسد التجويف الأنفى ، وإهمال الأوتار الصوتية بجعلها لا تتذبذب .

ونظير هذا الصوت المجهور ، لا وجود له فى اللغة العربية , وإنما يوجد فى اللغات الأوربية ،وهو صوت (v) فى الإنجليزية وصوت (w) فى الألمانية مثلا ،

فهذا الصوت يشبه الفاء العربية فى كل شيء ، إلا أنه يختلف عنها فى أن الوترين الصوتين يهتزان معه ، ولذا فإنه صوت مجهور، فى حين أن الفاء العربية صوت مهموس .. ونطق الفاء على هذا النحو ، من الشفة والأسنان ، وليس من طبيعة كل اللغات البشرية ؛ إذ ينطق اليابانيون صوت الفاء بطريقة تجعلها شفوية صرفة مهموسة احتكاكية ، عن طريق إرسال الهواء من الشفتين شبه المفتوحتين ، كما يحدث حينما نحاول إطفاء عود كبريت .

٣- الأصوات الأسنانية:

وهى : الثاء والذال والظاء ، ولسنا ندرى لماذا عدَّ الخليل بن أحمد هذه الأصوات الثلاثة لثوية ، وقال :" لأن مبدأها من اللثة " كما تابعه على ذلك بعض النحاة ، كابن يعيش الذى يقول :« والظاء والذال والثاء من حيز واحد ، وهو ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ، وبعضها أرفع من بعض ، وهى لثوية ، لأن مبدأها من اللثة ، مع أن النطق المتواتر لها فى العربية الفصحى هو النطق الأسنانى ، وقد روى ذلك سيبويه فقال : « وما بين طرف اللسان ، وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء».

فأما الثاء : فهو صوت رخو مهموس مرقق ، ينطق بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ، ويكون معظم جسم اللسان مستويًا ، ويرفع الطبق ليسد المجرى الأنفى ، بأن يلتصق بالحائط الخلفى للحلق , ويتم ذلك كله ، مع عدم وجود ذبذبة فى الأوتار الصوتية .

وليس هناك نظير مفخم لهذا الصوت فى اللغة العربية . وصوت الثاء من الأصوات التى فقدت فى العامية المصرية ، واستعيض عنه فيها بالتاء ، نحو : ثقيل ، تقيل ، أو بالسين فى الكلمات الثقافية ، نحو : ثابت سابت .

وأما الذال : فهو نظير الثاء المجهور ، أى إنه صوت رخو مجهور مرقق ، يتم نطقه بنفس الطريقة ، التى ينطق بها صوت الثاء ، مع فارق واحد ، هو أن الأوتار الصوتية تهتز عند نطق الذال ، ولا تهتز عند نطق الثاء.

وقد ضاع صوت الذال كذلك ، فى العامية المصرية ، وحل محله الدال ، نحو : ذهب ، دهب - ذيل ، ديل ، أو الزاى ، نحو : ذكر، زكر- ذل ، زل.

وأما الظاء : فإنه نظير الذال المفخم ، أى إنه صوت رخو مجهور مفخم ، ينطق بنفس الطريقة ، التى ينطق بها صوت الذال ، مع فارق واحد ، وهو أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق مع الظاء ، ولا ترتفع مع الذال . وسيبويه نفسه يقول : « ولولا الإطباق فى الظاء لكانت ذالا وقد فقدت الظاء من اللهجة العامية المصرية كذلك ، وحل محلها الضاد ، مثل : ظل ، ضل ، أو الزاى المفخمة ، نحو : ظلم ، زلم ، وغير ذلك .

٥- الأصوات الأسنانية اللثوية :

يعد هذا المخرج أغنى المخارج بالأصوات فى العربية ، ففيه تنطق الأصوات التالية: الدال, والضاد ، والتاء، والطاء ، والزاى ، والسين ، والصاد.

أما الدال : فإنها صوت شديد مجهور مرقق ، ينطق بأن تلتصق مقدمة اللسان باللثة والاسنان العليا ،التصاقا يمنع مرور الهواء ورفع الطبق ، ليسد التجويف الانفى ، مع ذبذبة الاوتار الصوتية ، وبقاء مؤخرة اللسان فى وضع افقى ، ثم يزال السد بانخفاض مقدمة اللسان ، فيندفع الهواء المحبوس الى الخارج ..

وأما الضاد : فإنها حسب نطقنا لها الآن ، تعد المقابل المفخم للدال ، أى إنها صوت شديد مجهور مفخم ، ينطق بنفس الطريقة ، التى تنطق بها الدال ، مع

فارق واحد ، هو ارتفاع مؤخرة اللساننحو الطبق ، فى النطق بصوت الضاد . وعلى هذا فالضاد العربية هى المقابل المطبق للدال.

وأما التاء : فهى نظير الدال المهموس ، أى إنها صوت شديد مهموس مرقق ، ينطق بنفس الطريقة ، التى يتم بها نطق الدال ، مع فارق واحد ، هو عدم اعمال الاوتار الصوتية فى التاء ، وتركها تهتز وتتذبذب مع صوت الدال .

وأما الطاء : فهى كما ينطق بها اليوم تقابل التاء فى الترقيق والتفخيم ، أى إنها صوت شديد مهموس مفخم ، ولا فرق بينهما إلا فى أن مؤخرة اللسان , ترتفع نحو الطبق عند نطق الطاء ، ولا ترتفع نحوه فى نطق التاء .

وأما الزاى : فهو صوت رخو مجهور مرقق ، يتم نطقه بوضع طرف اللسان فى اتجاه الاسنان مرقق و يتم نطقه بوضع طرف اللسان فى اتجاه الاسنان ، ومقدمته مقابل اللثة العليا ومع رفع الطبق تجاه الحائط الخلفى للحلق ، فيسد المجرى الانفى ، ويتم كل هذا ممع وجود ذبذبة فى الاوتار الصوتية . ونظير الزاى المفخم ، ولا وجود له فى العربية الفصحى و وان وجد فى الامية ، فى ذلك الصوت الذى يحل الظاء العربية احيانا ، فى مثل : ظلم ، زلم ، ونحوه

واما السين : فانها نظير الزايالمهموس ، وهذا معناه انه صوت رخو مهموس مرقق ، لا يفترق عن الزاى فى نطقه ، الا فى ان الاوتار الصوتية تهتز مع الزاى ، ولا تهتز معه .

واما الصاد : فانها نظير السين المفخم . وهذا معناه انه صوت رخو مهموس مفخم ، ينطق كما ينق السين ، مع فارق واحد ، هو ان مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق .

٦- الأصوات اللثوية:

وهى اللام والراء والنون . **فاما اللام** : فانها صوت جانبى مجهور ، ينطق بان يتصل طرف اللسان باللثة ويرتفع الطبق ، فيسد المجرى الأنفى ، عن طريق اتصاله بالجدار الخلفى للحلق , هذا مع حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية .

ومعنى أنه صوت جانبى ، أن أحد جانبي اللسان ، أو كليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس ، فى الوقت الذى لايمكنه فيه المرور من وسط الفم ، لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك .

والأصل فى صوت اللام الترقيق ، إلا أنه – كما يذكر علماء القراءات – يفخم فى لفظ الجلالة (الله) إذا لم يسبقه صوت من أصوات الكسرة ، كما أنهم يجيزون تفخيمه ، إذا تلاه صوت من أصوات الفتحة ، وسبقه أحد الأصوات المطبقة ، مثل الصلاة ، والطلاق والظلام والضلال .

والفرق بين اللام المرققة والمفخمة ، يوجد كما هو معروف فى وضع مؤخرة اللسان بالنسبة للاثنين ؛ إذ إنها ترتفع ناحية الطبق ، فى حالة اللام المفخمة ، وتنخفض إلى قاع الفم فى حالة اللام المرققة ، فالفرق بين نطق اللامين هو نفس الفرق بين صوتي السين والصاد.

وأما الراء : فإنها صوت تكراري مجهور ، يتم نطقه بان يترك اللسان مسترخيًا ، فى طريق الهواء الخارج من الرئتين ، فيرفرف اللسان , ويضرب طرفه فى اللثة ضربات متكررة . وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكرارى ، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية ، عند نطق هذا الصوت .

ويلاحظ أن الاطفال ، فى بداية نموهم اللغوى ، لا يقدرون على نطق الراء ، بسبب ضعف العضلات المحركة لمقدمة اللسان عندهم ، وقصورها فى هذه السن المبكرة ، عن إحداث الاهتزازات السريعة ، المكررة ، لهذه المقدمة.

غير أنه سرعان ما يتقن الطفل نطق الراء ، بالتقليد وكثرة التمرين . وقد يُصاب الطفل بلثغة فى الراء ، لسبب أو لآخر ، فلا يقدر على نطقها طيلة حياته نطقًا صحيحًا .

وقد عرف قدماء النحاة العرب بعض الطرق البدائية للتغلب على لثغة الراء ، فقد رووا لنا أن (عبيد الله بن محمد بن جرو الأسدى) النحوى العروضى كان يلثغ بالراء غينا . فقال له أبو على الفارسى : ضع ذبابة لقلم تحت لسانك ، لتدفعه بها ، وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالراء . ففعل ، فاستقام له إخراج الراء فى مخرجها».

ويذكرالقراء أن الراء ترقق ، إذا كسرت ، أو كانت ساكنة بعد كسر ، مثل كلمة: رزق ، ورِجْس ، وحِرْمان . ذلك على العكس من : يَرْجون و يقرأ . والفرق بين الراءين يشبه الفرق بين اللامين المرققة والمفخمة ، فيما سبق تمامًا :

واما النون : فهو صوت أنفى مجهور ، يتم نطقه ، بجعل طرف اللسان متصلا باللثة ، مع خفض الطبق ، ليفتح المجرى الانفى , واحداث ذبذبة فى الاوتار الصوتية . ومعنى الانفية فى هذا الصوت ، ان الهواء الخارج من الرئتين ، يمر في التجويف الأنفي ، محدثًا فى مروره نوعًا من الحفيف ، وهى بهذا الوصف كالميم تمامًا ، غير أن الفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة , فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم ، بعكس الميم ، فإن الذى يمنع مرور الهواء من الفم معهما ، هماالشفتان.

٧- الأصوات الغارية :

وهى فى العربية الفصحى : الشين والجيم والياء . فأما الشين فهي صوت رخو مهموس مرقق ، ينطق برفع مقدمة اللسان تجاه الغار ، ورفع الطبق ليسد المجرى الأنفى ، بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق و ويتم ذلك كله ، دون احداث ذبذبات فى الاوتار الصوتية ، فإذا مر الهواء فى الفراغ الضيق بين مقدمة اللسان والغار، سبب نوعا من الاحتكاك والصفير , وهو صوت الشين .

وليس فى العربية نظير مجهور للشين ، إلا أنها قد تجهر بتاثيرات الأصوات المجهورة ، المجاورة لها ، مثل الشين فى كلمة : "مشغول" وهذه الشين المجهورة ، توجد فى نطق الشوام لجيم العربية . ونحن نميز فى الكلمة الفرنسية (rouge)= روج .

واما صوت الجيم : كما نسمعها الآن من مجيدي القراء ، فإنها صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة ، وهو ما سبق أن سميناه بالصوت المزدوج . ويتم نطقه بأن يرتفع مقدم اللسان ، فى اتجاه الغار فيلتصق به ، وبذلك يحجز وراء الهواء الخارج من الرئتين ، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة ، كما فى الأصوات الشديدة ، وإنما يتم انفصال العضوين ببطء ، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين ، احتكاكا شبيهًا بالاحتكاك الذى نسمع صوته مع الشين المجهورة (ج) ، وعلى ذلك تعد هذه الجيم فى الحقيقة : صوت دال مغورًا ، يعقبه صوت شين مجهور . وهذه الجيم بهذا الوصف ، لاوجود لها فى اللهجات الحالية إلا فى لهجة من لهجات صعيد مصر ، وبعض أماكن الجزيرة العربية . كما أصبحت كافًا مجهورة تنطق من الطبق ، مع إعمال الأوتار الصوتية فى نطق القاهريين , أى إن مخرجها انتقل إلى الخلف . وهى فى لهجة أهل سوريا ، عبارة عن شين

مجهورة.كما سبق أن ذكرنا . كما تطورت فى نطق بعض أهالى الصعيد ، إلى دال أسنانية لثوية , بانتقال مخرجها إلى الأمام .

ويبدو أن بعض قبيلة تميم ، كانوا ينطقون شينًا مهموسة ، بدلا من الجيم ، قال الجوهري :« وأشاءه لغة فى أجاءه ، أى الجأه . تميم تقول : شَرٌّ ما يُشِيئُكَ إلى مُخَّةِ عُرْقُوبٍ أَي يُجِيئُك. قال زهير ابن ذؤيب العدوي :

فَيَالَ تَمِيمٍ! صابِرُوا ، قد أُشِئْتُمُ ❖ إليه، وكُونُوا كالمُحَرِّبَةِ البُسْلِ

كما يقول ابن جنى : « قال الراجز:

إِذْ ذَاكَ إِذْ حَبْلُ الوِصَالِ مُدَمَّشُ

أى : مدمج ، فالشين بدل من الجيم » وعد أبو بكر الزبيدى ، هذه الظاهرة فى الأندلس ، من لحن العامة ، فقال : « اشترت الدابة خطأ ، والصواب : اجترت .

والظاهر أن صوت الجيم المزدوج هذا ليس اصليا فى اللغة العربية القديمة ، وإنما هو متطور عن جيم تشبه نطق المصريين لهذا الصوت .

والدليل على ذلك أنه في اللغات السامية الأخرى كالعبرية والسريانية والحبشية ، صوت شديد يشبه نطق المصريين .

ويقول المستشرق : إنو ليتمان " Enno Litmann «نعرف أن نطق هذا الحرف الأصلي ، كما هو الآن فى مصر ، كما كان ، ويكون فى اللغات السامية الباقية . مثلا : كلمة "جمل" فى العبرية Gamal : وفى السريانية Aamla : وفى الحبشية . Aamal . ويمثل هذا النطق (الجيم المزدوج) نطق القرشيين فى زمان النبى (صلى الله عليه وسلم) فصار نطق القرآن الشريف».

أما صوت الياء « فإننا نعني به هنا . ضمن الأصوات الصامتة . الياء التى فى مثل : (يقول) و(ينصر) وما اشبه ذلك ، هو صوت مجهور ، بينه وبين صوت الكسرة الخالصة (وهو من أصوات العلة أو الحركات) فرق يسير جدًا . وسنعرف العلاقة بينهما بالتفصيل ، عند حديثنا على أصوات العلة .

٨- الأصوات الطبقية:

وهى فى العربية الفصحى : الكاف والغين والخاء ، **فاما الكاف** : فإنه صوت شديد مهموس مرقق , يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان فى اتجاه الطبق . وإلصاقه به ، وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ، ليسد المجرى الأنفى ، مع إهمال الأوتار الصوتية وعدم اهتزازها .

وليس فى العربية الفصحى نظير مجهور لهذا الصوت ، وإنما نظيره المجهور هو الجيم القاهرية ، التى نرمز لها بالرمز (ك) المستعار من الخط الفارسي ، ولنفرق بينهما وبين الجيم الفصيحة . وهذه الجيم القاهرية ، نسمعها كذلك فى بعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية والحبشية ، فهو صوت سامي قديم ، وهو لا يفترق عن الكاف فى شيء ، سوى أن الجيم القاهرية مجهورة والكاف مهموسة .

وأما الغين : فهو صوت رخو مجهور مرقق و يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان ، حتى بالطبق ، اتصالا يسمح للهواء بالمرور ، فيحتك باللسان والطبق، فى نقطة تلاقيهما ، وفى نفس الوقت يرتفع الطبق ، ليسد المجرى الأنفى ، مع حدوث ذبذبات فى الأوتار الصوتية .

وقد عدَّ سيبويه وغيره من القدماء صوت الغين من أصوات الحلق ، ويقول فى ذلك الدكتور تمام :

« يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد موقفين ، ينبني كل منهما على طريقة فهمهم للاصطلاح (حلق) ، فإذا كان مفهوم هذا الاصطلاح فى أذهانهم مطبقًا لم نفهمه الآن ، فهم ولا شك مخطئون فى القول بأن صوت الغين يخرج من الحلق ، أما إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له ، حتى ليشمل ما بين مؤخرة اللسان والطبق ، فلا داعي للقول بخطئهم ».

واما الخاء فإنها النظير المهموس للغين ، وهذا معناه أنها صوت رخو مهموس مرقق ، لا يفترق فى طريقه نطقة عن الغين ، إلا فى الأوتار الصوتية ، لا تهتز مع الغين .

٩- الأصوات اللهوية:

لا يوجد منها فى العربية الفصحى ، إلا صوت **القاف** . وهو - كما ينطق به مجيدو القراءات فى مصر - صوت شديد مهموس و ينطق برفع مؤخر الطبق ، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق ، ليسد المجرى الأنفي ، ورفع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهاة والجدار الخلفي للحلق ، مع عدم حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية ، فينحبس الهواء ، ثم ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين . وعلى ذلك ، فلا فرق بين القاف والكاف ، إلا فى أن القاف أعمق قليلا فى مخرجها .

١٠- الأصوات الحلقية :

وهى فى اللغة العربية : العين والحاء . **فأما العين** فهي صوت رخو مجهور مرقق ، يتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار إلى الخلف ، حتى ليكاد يتصل بالحائط الخلفى للحلق ، وفى الوقت نفسه يرتفع الطبق ، ليسد المجرى الانفى و ، وتهتز الأوتار الصوتية.

وأما الحاء : فهى النظير المهموس للعين . وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس مرقق ، يفترق عن العين، فى الأوتار الصوتية , لا تتذبذب معه ، بخلافها مع العين .

وقد فطن ابن جنى إلى هذا الفرق بين الحاء والعين ، فقال : « ولولا بحَّة فى الحاء لكانت عينًا ... ولأجل البحَّة التى فى الحاء ، ما يكررها الشارق فى تنحنحه . وحُكِى أن رجلا من العرب ، بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح ، فشرب بعضه ، فلما كظه الأمر قال : كبش أملح ، فقيل له : ما هذا ؟ تنحنحت ! فقال : من تنحنح فلا أفلح ، وكرر الحاء مستريحًا اليها ، لما فيها من البحة ، التى يجري معها النفس ، وليست كالعين التى تحصر النفس .

الأصوات الحنجرية:

وهى فى اللغة العربية صوتًا الهمزة والهاء :

فأما الهمزة ، فهى صوت شديد مهموس مرقق ، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقا تامًا يمنع مرور الهواء ، فيحتبس خلفهما ثم تفتح فجأة ، فينطلق الهواء متفجرًا.

ويأتي الحكم بهمس هذا الصوت ، من ناحية أن الأوتار الصوتية معه تُغلق تمامًا ، فلا يحدث فيها ذلك الاهتزاز اللازم لصفة الجهر .

ومع ذلك نجد سيبويه وغيره من القدماء يعدون هذا الصوت مجهورًا ، وهو أمر مستحيل استحالة مادية ، ما دامت الأوتار الصوتية مقفلة فى أثناء نطقه . ولكن هذا الصوت قد ياتي مُسَهَّلا ، بمعنى إغفاله تقريبًا .

وفى حالة التسهيل هذه يحدث الجهر ، ولكن المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية (همزة) ، بل تضيق حنجري أشبه بأصوات العلة منه بهذا الصوت ».

والهمز عند الدكتور أنيس صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس . وهذا الرأى عند الدكتور كمال بشر هو الرأى الراجح ، إذ يقول : « والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور ، هو الرأي الراجح ؛ إذ وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها ، لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر ، أو ما يسمى بالهمس».

وهذا رأي غريب ، لم يرض عنه جمهرة الدارسين للأصوات ، يقول الدكتور أيوب :« يقرر الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه : الأصوات اللغوية ، إن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس . وبالرجوع لتعريف الدكتور أنيس للجهر والهمس فى الكتاب نفسه ، نجد أنه يصف الجهر بأنه صوت موسيقي ، و يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين، اهتزازا منظمًا . ويصف الصوت المهموس . بأنه الصوت الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان . ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية ، إما أن تتذبذب فيحدث الجهر ، أو لا تتذبذب فيحدث الهمس ، ولا ثالث لهاتين الإمكانيتين . ومن ثم فإن وصف الدكتور انيس للهمزة ، بانها ليست مجهورة ولا مهموسة ، وصف غير دقيق ».

وقد كانت قريش وأهل الحجاز لا يهمزون فى كلامهم ، وذلك على العكس من القبائل النجدية ، كقبيلة " تميم " فقد " قال أبو زيد : «أهل الحجاز وهذيل ، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون . وقف عليها عيسى بن عمر , فقال : ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا قال : وقال أبو عمر الهذلى : قد توضيت ، فلم يهمز وأبدلها ياء ، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز » . والنبر هو الهمز فى اصطلاح القدماء ، قال ابن منظور :

« والنبر همز الحرف . ولم تكن قريش تهمز فى كلامها . ولما حج المهدى قدم الكسائى يصلي بالمدينة ، فهمز فأنكر أهل المدينة عليه وقالوا : تتبر فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقران ؟!».

كما قال الفرَّاء : " وقوله : (تأكل منسأته) ، همزها عاصم والأعمش ، ولم يهمزها أهل الحجاز ولا الحسن ، ولعلهم أرادوا لغة قريش ، فإنهم يتركون الهمز».

وقال ابن عبد البر فى التمهيد : قول من قال : نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي ، فى الاغلب ؛ لأن لغة قريش موجودة فى جميع القرآن ، من تحقيق الهمز ونحوه ، وقريش لا تهمز.

وقال صاحب كتاب : المباني فى نظم المعاني : « فاما الهمز فإن من العرب من يستعمله ، وهم تميم ، ومن يوافقها فى ذلك ، ومنهم من يقل استعمالهم له ، وهم هذيل وأهل الحجاز».

وهذا كله معناه أن لهجة الحجازيين الأصلية تسهيل الهمز . أما قول عيسى بن عمر الثقفى – فيما تقدم : « فإذا اضطروا نبروا » فيمكن أن يكون معناه أن الحجازيين إذا اصطنعوا اللغة المشتركة التى أخذت الهمز من تميم فإنهم يحققون الهمز فى هذه الحالة ، كما يمكن أن يكون عيسى بن عمر ، قد قصد بذلك الهمزة التى توجد فى أول الكلمة ، إذ كان الحجازيون يحققونها فعلا ، ولم تكن قد تحولت كذلك فى نطقهم إلى صوت من أصوات العلة و أو تضييق حنجري ، شبيه بأصوات العلة .

أما الهاء : فإنها صوت رخو مهموس مرقق ، يتم نطقه بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين ، بمنطقة الأوتار الصوتية دون ان تحدث ذبذبة لهذه الأوتار ، ويرتفع

الطبق ليسد المجرى الانفى , ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع ، الذى يتخذه عند النطق بالحركات) وسنتحدث عن ذلك فيما بعد) . ولولا هذا الحفيف الذى يحدث بمنطقة الاوتار الصوتية , لما سمع غير صوت الزفير العادى ، كما أن انعدام الذبذبات هنا ، هو الذى يميز الهاء عن الحركات ».

ويروي الدكتور تمام أن صوت الهاء مجهور « يتم النطق به بتضييق الأوتار الصوتية إلى مرحلة فى منتصف الطريق بين الهمس والجهر ، حتى إذا مرَّ هواء الرئتين بينهما ، كان لاحتكاكه بهما اثر صوتى لا هو بالحس (يقصد جرس الصوت الذى يتردد صداه فى الحجرات الرنين فى الجهاز النطقى ، وهى حالة الجهر) ، ولا هو بالتنفس .. هذا الأثر الصوتى فيه بعض الذبذبة ، وهو ما يجعلنا ننظر إلى هذا الصوت باعتباره مجهورًا ».

كما يروي الدكتور أنيس أن « الهاء عادة صوت مهموس يُجهر به فى بعض الظروف اللغوية الخاصة».

ويظهر أنه التبس عليهما صوت الهاء بصوت الحركات ، في الأمثلة التى استنبطنا منها هذا الحكم . والحركات مجهورة دائمًا ، كما سنرى فيما بعد .

وبوصفنا لصوت الهاء ننتهي من وصف الأصوات الصامتة فى العربية الفصحى .. ويهمنا هنا أن نقول مع (ماريوباى) إن « عدد الأصوات التى يمكن لجهاز النطق الإنساني أن ينتجها لم يمكن حصرها أو تقديرها على وجه الدقة حتى الآن . وهذا يرجع إلى أن أقل انحراف فى المخرج يمكن ان يعطي نتائج مختلفة تدركها الاجهزة ا لحساسة ، مثل السكتروجراف ، أو مسجل تردد الموجات الصوتية ، إن لم تدركها الأذن . وأيضا فإن كثيرًا من الأصوات الإنسانية التى تعد أصواتا كلامية فى بعض اللغات ، تعد بكل تأكيد أصواتا كلامية فى بعضها الآخر».

بيننا وبين القدماء فى وصف بعض الأصوات :

حين نطالع كتب القدماء من علماء العربية فى وصف أصوات اللغة الفصحى ، نجد خلافا بيننا وبينهم فى وصف بعض الاصوات .

ويرجع ذلك فى نظرنا إلى أحد أمرين :

اولهما : ان نطق العربية الفصحى أصابه التطور فاختلف نطق بعض الأصوات فى زماننا على مستوى النطق الفصيح ، عنه فى زمان اولئك القدماء ، الذين وصفوا ما سمعوه ، واصابوا فى هذا الوصف .

والثانى أن يكون نطق الفصحى فى زماننا هو بعينه نطق العرب القدماء ، لم يصبه تطور ، ولم يحدث فيه تغيير ، غير أن القدماء وهموا فى وصف هذا النطق ونحن نميل فى الأعم الأغلب إلى تصديق القدماء فى أوصافهم ونؤمن بالتطور اللغوى الذى أصاب بعض أصوات الفصحى و ولا نلجأ إلى تخطئه القدماء فى وصفهم إلا إذا أعيتنا الحيل فى القول بتطور هذا الصوت أو ذاك.

وينحصر الخلاف بيننا وبين القدماء فى وصف خمسة أصوات وهي : الضاد والطاء والجيم والقاف والعين . وفيما يلي تفصيل القول فى ذلك:

١- **الضاد :**

عرفنا من قبل أن الضاد حسب نطقنا لها الآن ، تعد المقابل المفخم للدال ، أي إنها صوت شديد مجهور مفخم ينطق بنفس الطريقة ، التى تنطق بها الدال مع فارق واحد هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق بصوت الضاد . وعلى هذا فالضاد العربية هى المقابل المطبق للدال غير أننا إذا نظرنا إلى وصف القدماء لها ، من

النحويين واللغويين وعلماء القراءات ، عرفنا أن الضاد القديمة ، تختلف عن الضاد التى ننطقها الآن فى أمرين جوهريين :

أولهما : أن الضاد القديمة ليس مخرجها الأسنان واللثة ، بل حافة اللسان أو جانبه .

وثانيهما : أنها لم تكن انفجارية (شديدة)، بل كانت صوتًا احتكاكيا (رخوًا)

فقد عدَّها الخليل بن أحمد ، فى حيز الجيم والشين ، وهما من الأصوات الغارية ، فقال وهو يذكر أحياز الحروف : " ثم الجيم والشين والضاد فى حيز واحد ».

كما يقول سيبويه : « ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من اضراس مخرج الضاد " . ويوضح ذلك " المبرد " فيقول : " الضاد ومخرجها من الشدق ، فبعض الناس تجرى له فى الأيمن , وبعضهم تجرى له فى الايسر " . كما يقول ابن جنى : « ومن اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس ، مخرج الضاد ، الا انك ان شئت تكلفتها من الجانب الايمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر ».

يتضح من هذه النصوص ، الفرق الأول بين الضاد القديمة والضاد التى ننطقها الان ، وانها كانت جانبية ، وليست أسنانية لثوية . أما الفرق الثانى , وهو انها لم تكن انفجارية ، بل احتكاكية أو رخوة ، فيتضح من قول سيبويه فى تقسيم الحروف : " ومنها الرخوة وهي : الهاء والحاء والغين والخاء والسين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء .

وقد عرفنا من قبل ان الضاد التى ننطقها اليوم فى مصر ، هى المقابل المطبق أو المفخم للدال ، فالدال صوت ينطق بنفس الطريقة التى ينطق بها صوت الضاد ، مع فارق واحد ،وهو أن مؤخرة اللسان ، ترتفع قليلا في اتجاه الطبق عند نطق

الضاد ، ولا يحدث مثل ذلك مع الدال . أما الضاد القديمة ، فيقيابلها شيء من الأصوات ، إذ يقول سيبويه : " ولولا الإطباق ... لخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها ».

وعلى هذا فالضاد التى ننطقها اليوم , ليست هى الضاد القديمة ، التى كانت عند العرب القدماء ، وإنما هى تطور عنها . ولنسمع فى هذه الضاد القديمة آراء بعض العلماء :

يقول المستشرق " شاده " عن سيبويه إنه « عدَّ من الرخوة حرفًا خرج منها بعده ، فى كثير من اللهجات العربية ، وهو الضاد , فإنها ليست الآن من الرخاوة ، إلا فى لفظ من قال : ضرب مثلا ، بضاد جانبية المخرج . وأما فى النطق المعتاد فى مصر ، يعني بضاد مقدمة المخرج ، فقد لحقت فيه الشديدة ».

ويقول المستشرق " برجشتراسر : « أما الضاد هى الآن شديدة عند أكثر أهل المدن ، وهى رخوة (عند القدماء) كما هى الآن عند أكثر البدو ومع ذلك فليس لفظها البدوى الحاضر نفس لفظها العتيق ، لأن مخرج الضاد (عند القدماء) من حافة اللسان . ومن القدماء من يقول : من جانبه الأيسر ومنهم من يقول : من الأيمن ، ومنهم من يقول : كليهما فمخرجها قريب من مخرج اللام من بعض الوجوه . والفرق بينهما هو ان الضاد من الحروف المطبقة كالصاد ، وانها من ذوات الدوى (الاحتكاك) واللام غير مطبقة ، صوتية محضة , فالضاد العتيقة حرف غريب جدا ، غير موجود – حسبما اعرف – فى لغة من اللغات الا العربية ، ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد . ويغلب على ان للضاد نطقا قريبا منه جدا عند اهل حضر موت ، وهو كاللام المطبقة . ويظهر أن أندلسيين ، كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ، ولذلك استبدلها الإسبان بصوت (id)فى الكلمات العربية المستعارة فى لغتهم مثال ذلك أن كلمة : (القاضي)

صارت فى الإسبانية .alcalde ، ومما يدل أيضًا على أن الضاد كانت فى نطقها قريبة من اللام ، أن الزمخشرى ذكر فى كتابه : (المفصَّل) أن بعض العرب ، كانت تقول : (الطجع) بدل(اضطجع) . ونشأ نطق الضاد عند البدو، من نطقها العتيق بتغيير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه ، ونطقها عند أهل المدن ، نشأ من هذا النطق البدوي ، بإعماد طرف اللسان على الفك الاعلى ، بل تقريبه منه فقط ، فصار الحرف بذلك فى نطقه شديدا ، بعد أن كان رخوًا .

ويبدو أن ما حدث للكلمة العربية ذات الضاد فى الإسبانية ، حدث مثله لتلك الكلمات فى اللغة الإندونيسية ، مثل قولهم = hail : حيض ،ة = lalalat ضلالة = loha , ضحى .

ويروي (كانتينو) أن « النطق القديم كان (ظ ل) ، اى ظاء ذات زائدة انحرافية ، اى بتقريب طرف اللسان ، من الثايا كما فى النطق بالظاء ، وبان يجرى النفس لا من طرف اللسان فقط ، بل من جانبيه أيضًا».
كما يقول المستشرق (هنرى فليش) : « ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد ، وهو عبارة عن صوت مفخم ، يحتمل أنه كان ظاء جانبية أى أنه كان يجمع الظاء واللام فى ظاهرة واحد . وقد اختفى هذا الصوت ، فلم يعد يسمع فى العالم العربى ، وأصبح بصفة عامة إما صوتًا انفجاريًا ، هو مطبق الدال , وإما صوتًا أسنانيًا هو الظاء ».

وأخيرًا يرى الدكتور إبراهيم أنيس أنه يستدل من وصف القدماء لهذا الصوت ، على أن الضاد كما وصفها الخليل ومن نحوا نحوه ، تخالف تلك الضاد التى ننطق بها الآن ، إذ معها ينفصل العضوان المكونان للنطق انفصالا بطيئًا نسبيًا ، ترتب عليه أن حل محل الانفجار الفجائى انفجار بطيء ، نلحظ معه مرحلة انتقال بين هذا النوع من الأصوات ، وما يليه من صوت لين ، فإذا

نطق بالضاد القديمة ، وقد وليتها فتحة مثلا ، أحسسنا بمرحلة انتقال بين الصوتين ، تميز فيها كل منهما تميزًا كاملا . هذا إلى أن الضاد ، كما وصفها القدماء ، كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه فى الحلق والفم ، غير أن مجراه فى الفم جانبي – عن يسار الفم عند أكثر الرواة ، أو عن يمينه عند بعضهم ، أو من كلا الجانبين ، كما يستفاد من كلام سيبويه .

والذى نستطيع تاكيده هنا ، هو أن الضاد القديمة ، قد أصابها بعض التطور ، حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق فى مصر ... ولا يزال العراقيون حتى الآن وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد ، يشبه إلى حد ما الظاء ، كما يشبه إلى حد كبير ذلك الوصف ، الذى روى لنا عن الضاد القديمة . والذين مارسوا التعليم فى بلاد العراق يذكرون ، كيف يخلط التلاميذ هناك بين الظاء والضاد . والضاد القديمة – كما أتخيلها – يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ، ثم ينتهي نطقه بالظاء ، فهي إذن مرحلة وسطى ، فيها شيء من شدة الضاد الحديثة ، وشيء من رخاوة الظاء العربية ، ولذلك كان يعدها القدماء من الأصوات الرخوة ».

هذه هي بعض الآ راء التى قيلت فى الضاد العربية القديمة. ويبدو من وصف القدماء لها، ومن تطورها في بعض اللهجات واللغات أنها كانت لامًا مطبقة، ، كما يقول "برجشتراسر" ، كما يبدو أنها كان فيها بعض الشبه بالظاء والضاد ، وإلا ما تطورت فى اتجاه كل واحد من هذين الصوتين ، فى اللهجات العربية الحديثة .

وإذا نظرنا إلى اللغات السامية ، وجدنا أن الضاد العربية تقابل صادا فى اللغة الأكادية والأوجاريتية والعبرية ، فكلمة " أرض" فى العربية , تقابل كلمة

ersetu فى الأكادية وكلمة ars فى الأوجاريتية ، كلمة eres فى العبرية . كما تقابل الضاد عينا فى السريانية مثل ar`a بمعنى " أرض" كذلك . ولم تبق ضادًا إلا فى العربية الجنوبية ( السبئية والمعينية) والحبشية ، مثل كلمة rd` فى العربية الجنوبية ، بمعنى " أرض" كذلك ، وكلمة dahay بمعنى : " الشمس – الضحى " فى الحبشية .

وتقول مارية هفنر: «إنَّ هذه الضاد احتكاكية فى اللغة الحبشية ، ولابد أنها كانت كذلك فى العربية الجنوبية . والدليل على صحة ذلك ، ورود بعض الكلمات ، التى كتبت بالضاد فى بعض النقوش ، وبالزاى فى بعضها الآخر ، فلو كانت هذه الضاد انفجارية ، لما التبست على الكاتب إطلاقا ، فدلت كتابته إياها بصورة الزاى على أنها كانت احتكاكية » .

وإذا كانت الضاد بهذه الصورة ، توجد فى بعض اللغات السامية كما رأينا ، كان من التجوز قول ابن جنى : « واعلم أن الضاد للعرب خاصة . ولا يوجد فى كلام العجم إلا فى القليل».

أما السر في إطلاق (لغة الضاد) على اللغة العربية ، فإنه يكمن فى أن هذه الضاد ، كانت مشكلة عويصة بالنسبة لمن يريد أن يتعلم العربية من الأعاجم . ويقول الدكتور إبراهيم أنيس : « يظهر أن الضاد القديمة ، كانت عصية النطق على أهالي الأقطار التى فتحها العرب , أو حتى على بعض القبائل العربية فى شبه الجزيرة ، مما يفسر تلك التسمية القديمة (لغة الضاد) كما يظهر أن النطق القديم بالضاد ، كان إحدى خصائص لهجة قريش ».

ويقول ابن الجزرى :" والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس فى الحروف ما يعسر على مثله ، فإنَّ السنة الناس فيه مختلفة ، وقل من يحسنه ، فمنهم من يخرجه بالذال

ومنهم من يخرجه ظاء , ومنهم من يجعله لامًا مفخمة ، ومنهم يشمه الزاى . كل ذلك لا يجوز».

وكل هذا الذى حكاه ابن الجزرى ، روت لنا كتب الابدال طرفا منه ، فمن امثلة الضاد والظاء ، ما حكاه ابو الطيب اللغوى من قوله : « الحضل والحظل : فساد يلحق أصول سعف النخل ».

ومن أمثلة الضاد والذال : « ما ينبض له نبضًا ، وما ينبذ له عرق نبذاً . وقد نبض العرق ينبض , ونبذ ينبذ إذا ضرب ». ومن أمثلة الضاد واللام : « تقيض فلان أباه وتقبله ، تقيضًا , وتقيلا : إذا نزع إليه فى الشبه ».

ومن أمثلة الضاد والزاى : " أنا على أوفاز , وعلى أوفاض ، أى على عجلة ».

ويحدثنا اللغويون عمَّا سموه " بالضاد الضعيفة " ، وهو مظهر من مظاهر عدم تمكن بعض العرب القدماء ، من نطق الضاد التى عرفنا وصفها من قبل يقول ابن يعيش : « والضاد الضعيفة من لغةقوم اعتاصت عليهم ، فربما اخراجها من مخرجها ، فلم يتأت لهم ، فخرجت بين الضاد والظاء »

وقد وصلت إلينا بعض الأخبار ، التى تؤكد لنا ان الناس كانوا يخلطون الضاد بالظاء فى بعض الاحيان ، فقد روى أبو علي القالى ان رجلا " قال لعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ، أيضحى بضبى ؟ قال : وما عليك لو قلت : بظبى ؟! قال : إنها . قال : انقطع التعاب ، ولا يضحى بشيء من الوحش » . كما سجل الحائط مثل هذا الخلط بين الضاد والظاء فقال " : وزعم يزيد مولى ابن عون ، قال : كان رجل بالبصرة له جارية تسمى ظمياء ، فكان اذا دعاها ، قال : يا ضمياء ، بالضاد ، فقال ابن المقفع : قل : يا ظمياء ! فناداها : ياضمياء

، فلما غير عليه ابن المقفع ، مرتين أو ثلاثا ، قال له : هى جاريتى أو جاريتك ؟!»

.

ويذهب المستشرق " برجشتراسر إلى أن « نطق الظاء ، كان قريبًا من نطق الضاد ، وكثيرًا ما تطابقتا وتبادلتا ، فى تاريخ العربية . وأقدم مثالا لذلك مأخوذًا من القرآن الكريم ، وهو (الضنين) فى سورة التكوير ٢٤/٨١ ، فقد قرأها كثيرون بالظاء مكان الضاد ، التى رسمت بها فى كل المصاحف . وممن قرأها بالظاء : ابن كثير ، وأبو عمرو والكسائى ، وكذلك النبى (صلى الله عليه وسلم) كما قال مكي فى كتاب الكشف ».

ومما لا شك فيه ، أن العرب القدامى فى البيئة القريشية , كانوا يفرقون بين الضاد والظاء ، بدليل ان الكتابة العربية ، التى شاعت فى قريش , فرقت بين الصوتين فى الصورة الموضوعة لكل واحد منهما ، ويقول الدكتور إبراهيم أنيس : « لا يخالجنا الآن أدنى شك فى أن العرب القدماء كانوا فى نطقهم يميزون هذين الصوتين ، تمييزا واضحا ، ولكنهم فيما يبدو ، كانوا فريقين : فريق يمثل الكثرة الغالبة ، وهؤلاء هم الذين كانوا ينطقون بهما ذلك النطق ، الذى وصفه سيبويه . أما الفريق الآخر ، فكان يخلط بين الصورتين ... وهذا الخلط الذي وقع فى بعض اللهجات المغمورة ، إنما كان سببه أن هذين الصوتين – على حسب وصف سيبويه لهما – يشتركان فى بعض النواحي الصوتية ، أو بعبارة أخرى ، كان وقعهما فى الآذان متشابهًا . ولعل مما يستانس به لهذا التشابه بين الصوتين فى النطق القديم ، وقوعهما فى فاصلتين متوالتين من فواصل القرآن الكريم ، مثل ما جاء فى قوله تعالى : (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ، ولنذيقنهم من عذاب غليظ . وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسَّه الشر فذو دعاء عريض)».

ولعل هذا الخلط بين صوتي الضاد والظاء كان قد شاع فى القرن الثالث الهجري ، وكان هذا هو السر فيما ذهب إليه أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابى ، اللغوي المشهور (المتوفى سنة ٢٣١ هجرية) من أنه يجوز عند العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فقد روى ابن خلكان ، أن ابن الأعرابى كان يقول : « جائز فى كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطئ من يجعل هذه فى موضع هذه ، وينشد :

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لى غائض

بالضاد (بدل غائظ) ، ويقول : هكذا سمعته من فصحاء العرب». ويزعم ابن جنى أن ذلك ليس من المعاقبة ، وإنما هى مادة أخرى ، فيقول : « ويجوز عندى ان يكون غائض غير بدل ، ولكنه من غاضه , اى نقصه ، فيكون معناه : ينقصنى ويتهمنى.»

والدليل على أن الخلط بين الضاد والظاء قديم فى العربية ، تلك المؤلفات الكثيرة ، التى تعالج هذه المشكلة نت قديم . ولقد كانت محاولات بعض من الف فى هذا الموضوع من اللغويين العرب ، منحصرة احيانا فى تنبيه الكتاب ، حتى لا يخلطوا الضاد بالظاء فى خطوطهم ، متأثرين فى ذلك بنطقهم , الذى كان من العسير إصلاحه .

ونحن نرى أثر هذا الخلط بين الضاد والظاء ، فى بعض البلاد العربية ، فى ايامنا هذه ، فقد سبق أن اوردنا ما حكاه الدكتور انيس عن نطق العراقيين للضاد نطقا مشابها للظاء . وليس هذا بسن الضاد والظاء خاصا بالعراقيين فحسب ، بل ان اهل تونس يخلطون فى ايامنا هذه بين الضاد والظاء ، فينطقونها قريبين من الظاء .

اما الضاد القديمة ، فقد عرفنا من قبل ان هناك نطقًا يشبه , عند أهل حضرموت ، وهو كاللام المطبقة فيما ذكره المستشرق " برجشتراسر" . ويضيف الدكتور خليل نامى إلى ذلك أن " هذا النطق موجود أيضا فى لهجات منطقة ظفار كالمهرية والشحرية ، كما هو موجود ايضا فى منطقة دثينة ، بجنوب بلاد العرب ، وهو موجود ايضا فى لهجات الجزيرة بالسودان .

٢- **الطاء**: عرفنا من قبل ان الطاء ، كما ينطق بها اليوم تقابل التاء فى الترقيق والتفخيم ، اى انها صوت شديد مهموس مفخم ، ولا فرق بينهما الا فى ان مؤخرة اللسان ترتفع تجاه الطبق عند نطق الطاء ، ولا ترتفع نحوه فى نطق التاء .

اما الطاء عند القدماء ، فهى صوت شديد مهجور مفخم ، عدها سيبويه من الاصوات المجهورة ، كما قال عنها :" ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا ." أى إنها نظير الدال المفخم ، عند سيبويه ، فى حين أنها فى نطقنا اليوم ، نظير التاء المفخم ، كما سبق أن ذكرنا ذلك .

وقد مال معظم المحدثين ، من دارسي الأصوات اللغوية إلى تصديق رواية القدماء ، عن الطاء العربية القديمة ، من أنها كانت صوتًا مجهورًا ، يشبه الضاد الحديثة ، التى تطورت فضاع منها الجهر، واصبحت تلك الطاء الحديثة ، التى لم يكن لها وجود اصلا فى العربية القديمة ، فيذكر برجشتراسر أن " الطاء مهموسة اليوم , مجهورة (عند القدماء) ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى تمامًا.

أما (شاده) فيرى على العكس من أن نطق الطاء العتيق ، يوجد فى جنوب جزيرة العرب ، فيقول: « سيبويه يعد من المجهور الطاء والقاف . وفى لفظ عصرنا لا نصيب للاوتار الصوتية فى إنتاجهما ، ولكن ذلك لا يصح إلا عن لفظ المدارس (يقصد الفصحى الحالية) . وأما اللهجات فتخالفها مخالفة شديدة ،

فإن سكان جنوب جزيرة العرب مثلا ، يلفظون الطاء كأنها ضاد المصريين ، والقاف كأنها جيم المصريين بإطباق ، فيقول مثلا : (وجع فوجنا مضر) يعنى : وقع فوقنا مطر ، أو (قضعت ورجة) يعنى : قطعت ورقة . ومثل ذلك يصح عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب ، من اللهجات العصرية . »

وأما الدكتور إبراهيم أنيس ، فيعترف كذلك بالتطور الذى أصاب نطق هذا الصوت ، فأبعده عن حالته القديمة ، فيقول : « وقد أجمع الرواة فى وصفهم للطاء القديمة ، على أنها صوت مجهور ، مما يحملنا على الاعتقاد بأن الطاء القديمة ، تخالف التى ننطق بها الآن ، على أن وصف الطاء فى كتب الأقدمين ، لا يمكن الباحث المدقق من تحديد كل صفات ذلك الصوت ، ولا كيف كان ينطق به على وجه الدقة ، غير أنه من الممكن أن نستنتج من وصفهم أنها كانت صوتًا يشبه الضاد التى نعرفها الآن .

وهنا يتضح معنى قول ابن الجزرى : إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة . وليس من المحتمل أن يكون القدماء قد خلطوا فى وصفهم بين صفتى الجهر والهمس ، فيما يتعلق بهذا الصوت ، ولكن الذى أرجحه أن صوت الطاء ، كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة . ولعل الضاد القديمة كانت تشبه ما نسمعه الآن من العراقيين فى نطقها . ثم تطور الصوتان فهمست الأولى ، وأصبحت الطاء التى نعرفها الآن ، كما اختلف مخرج الثانية وصفتها ، فأصبحت تلك الضاد الحديثة . أى إنما كان يسمى بالطاء ، كان فى الحقيقة ذلك الصوت الذى ننطق به الآن ونسميه ضادًا , فلما همست أصبحت الطاء الحديثة التى – فيما يظهر – لم تكن معروفة فى النطق العربى القديم .

أما الضاد القديمة العصية النطق ، فقد تطور مخرجها وصفتها ، حتى اصبحت على الصورة التى نعهدها فى مصر."

أما الدكتور تمام حسان ، فيرى أن الطاء القديمة كانت مهموسة ، غير انها كانت ذات نطق مهموز ، وهذا هو ما اوقع اللغويين القدامى فى الخطأ – فى نظره – حين عدوا هذه الطاء مجهورة ، فيقول :" اما الطاء التى وصفها لنا القراء القدماء فمجهورة على ما رأوا ، وهذا يحتاج إلى قليل من المناقشة ، ففى بعض اللهجات العامية المعاصرة ، صوت من أصوات الطاء ، يمكن وصفه بأنه مهموز ، ولإيضاح ذلك نقول : إن طرف اللسان ومقدمته ، يتصلان فى نطقه بالثايا واللثة ، وتعلو مؤخرة اللسان وتتراجع الى الخلف فى اتجاه الجدار الخلفى للحلق ، ويقفل المجرى الانفى للهواء الخارج من الرئتين ، بخلق اتصال بين الطبق والجدار الخلفى للحلق . وفى نفس الوقت تقفل الاوتار الصوتية ، فلا تسمح بمرور الهواء الى خارج الرئتين ، وبذلك تتكون منطقة فى داخل الفم والحلق ، يختلف ضغط الهواء فيها عنه فى الرئتين وفى الخارج . وفجأة يتم انفصال الأعضاء المتحركة ، التى وصفنا اتصالها فى وقت ما ، فيندفع هواء الرئتين إلى الخارج ، ويندفع الهواء الخارجى إلى الداخل ، فيحدثان بالتقائهما أثرا صوتيًا ، هو الطاء ، كالتى تنطق في بعض لهجات الصعيد مثلا .

٣- الجيم سبق ان عرفنا ان الجيم كما نسمعها الان من مجيدى القراء , صوت غارى مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة ، وهو ما سبق ان سميناه بالصوت المزدوج .

أما سيبويه فقد عدها من الاصوات الشديدة ، وان كان قد وضعها بين الشين والياء فى مخرج واحد , وتابعه على ذلك غيره من علماء الأصوات العرب .

ويبدو أن الازدواج فى نطق بعض الاصوات العربية ، لم يكن واضحا فى تصور العلماء العرب ، بدليل وهمهم فى وصف ظاهرتى الكشكشة والكسكسة ، فى نطق بعض القبائل العربية للكاف المكسورة .

٤- **القاف** :عرفنا من قبل ان القاف ، كما ينطق بها مجيدو القراءات فى مصر ، صوت لهوي شديد مهموس .

أما سيبويه ومن جاء بعده من النحويين والقراء ، فإنهم يصفون القاف بانها مجهورة ، ونستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت أنه كان كان يشبه إلى حد كبير ، تلك القاف المجهورة التى نسمعها الآن بين القبائل العربية فى السودان ، وجنوب العراق الحديثة ، اذ نسمعها منهم نوعا من الغين" .

ويقول " كانتينو " : « وبما أن قسمًا كبيرًا من الألسن الدارجة العربية ، ينطق بقاف مجهورة ، أمكننا الاعتقاد على سبيل الاحتمال والترجيح ، بأن القاف كانت بالفعل حرفًا مجهورًا فى العربية القديمة . ويمكن أن يكون نطقه مهموسًا فى العربية الفصحى اليوم ، ناتجًا عن كونه أصبح مهموسًا في اللهجات الحضرية المدنية ، لأن أغلبية المثقفين اليوم هم من أصل مدني .»

ويبدو أن القبائل العربية لم تكن تنطق القاف بصورة موحدة ، فها هو ابن دريد اللغوى يقول ": فأما بنو تميم ، فإنهم يلحقون القاف بالكاف ، فتغلظ جدا ، فيقول : الكوم ، يريدون : القوم :فتكون القاف بين الكاف والقاف . وهذه لغة معروفة فى بنى تميم قال الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت ولا أكول لباب الدار مكفول»

وقد تطورت القاف فى اللهجات العربية الحديثة ، تطورًا كبيرًا ، فهي فى كلام أهل مصر والشام همزة ، كما تنطق غينًا فى بعض مستويات النطق فى السودان وجنوبي العراق ، وفى بعض الكلمات فى مصر ، مثل : يقدر ، يغدر . وتسمع جيمًا كالجيم القاهرية ، فى بعض البيئات بصعيد مصر ، وبين كثير من قبائل البدو فى الصحراء ، وكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة للتطور ، له أمثلته فى

العربية القديمة ، فمن الأمثلة التى وردت بالقاف والهمزة ، مارواه ابو الطيب اللغوى , من قول العرب : قشبه وأشبه ، أى لامه وعابه . والقوم زهاق مائة ، أى قريب من مائة . والقفز والأفز ، أى الوثب ، ومن الأمثلة التى وردت بالقاف والغين قولهم : غلام أقلف وأغلف ، أى لم يختن . والقمز من الناس والغمز ، أي الذال ومن لا خير فيه . وقلقل فى الأرض وغلغل ، أى ذهب فى الأرض .

ومن أمثلة القاف والجيم قولهم : بائقة وبائجة للداهية . وحبق وحبج ، اى ضرط . واحنق واحنج ، اى ضمر الفرس . وتلقفت البئر وتلجفت ، أى أكل الماءُ جوانبَها . وزلقت الموضع ، وزلجته ، أى ملسته .

والملاحظ أن التطور الذى أصاب القاف هنا بأنواعه كان بتغيير مخرجها وتطور الصوت بتغيير مخرجه يكون بأحد طريقين : إما بانتقال المخرج إلى الوراء ، أو إلى الأمام ، باحثًا الصوت فى انتقاله ، عن أقرب الأصوات شبهًا به ، من الناحية الصوتية فتعمق القاف فى الحلق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحلق ، ما يشبه القاف إلا الهمزة ، لوجود صفة الشدة فى كل منهما . فليس غريبًا إذن أن تطورت القاف فى لغة الكلام عندنا إلى الهمزة ، فليس بين أصوات الحلق صوت شديد إلا الهمزة . أما الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام ، فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف ، فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما . وقد رجح تطور القاف فى لغة البدو ، وبعض أهالى صعيد مصر ، إلى الجيم القاهرية ، أن القاف فى الأصل صوت مجهور ، فحين تتطور تنتقل إلى صوت مجهور أيضا ، يشبهها صفة, لهذا اختارت القاف فى تطورها الأمامى ، الجيم دون الكاف ، لأن كلا من القاف الأصلية ، والجيم القاهرية ، صوت شديد مجهور».

هذا ، ويلاحظ " كانتينو " ان اللهجات الحديثة ، التى صار القاف القديم فيها حرفا مهموسا (أى القاف التى ننطقها اليوم , أو الكاف ، أو الهمزة) هى لهجات حضرية .

٥- **العين** : عرفنا من قبل ان العين صوت حلقى رخو مجهور مرقق بحسب الوصف المؤسس على التجارب المعملية الصوتية فى العصر الحديث.

وقد عد سيبويه وغيره من القدماء ، صوت العين من الاصوات المتوسطة " وربما كان ذلك ، لعدم وضوح الاحتكاك فى نطقه وضوحا سمعيا . ولكن الاصوات المتوسطة تشترك جميعها فى خصائص ، ليست موجودة فى نطق العين ، وأوضح هذه الخصائص , حرية مرور الهواء فى المجرى الأنفى أو المجرى الفمى ، دون سد طريقه ، أو عرقلة سيره , بالتضييق عند نقطة ما . وقد اتضح بصورة الاشعة ، ان فى نطق العين تضيقا كبيرا للحلف . وهذا ما يدعوا وما دعا غيرنا من المحدثين قبل ذلك ، إلى اعتبار صوت العين رخوًا لا متوسطًا » .